

الإستراتيجية العسكرية لعثمان بن يغمراسن بن زيان في مواجهة الخطر المريني (المغربي) (681-703 هـ / 1282-1303م)

The Military strategy of Othman bin Yaghmorasan bin Ziyen in the face of the danger Marinid (maroccan) (1282-1303 A. D.)

أ د غرداوي نور الدين
رئيس قسم التاريخ - جامعة الجزائر-2

الملخص :

تعاقب على حكم الجزائر خلال العهد الزياني (633-962 هـ / 1235-1555م) ثلاثون حاكما، منهم من اجتهد في بناء وتشيد الدولة الجزائرية وأصاب وترك تاريخا مشرقا للجزائر خلال هذا العهد، ومنهم من اجتهد ولم يصب، وخانته ظروف وأوضاع الفترة وتحدياتها، ومنهم من خان وخذل الجزائر وكان يبحث عن مجد شخصي على حساب الوطن والشعب.

ومن بين الحكام اللذين تركوا بصماتهم في التاريخ السياسي والعسكري خلال هذا العهد نجد أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان، الذي عرف بالدهاء السياسي والحنكة العسكرية في مواجهة خصومه وأعدائه. وتعرضت الجزائر خلال فترة حكمه (681-703 هـ / 1282-1303م) إلى مؤامرات واعتداءات عديدة من طرف جيرانه (الحفصيون من الشرق والمرينيون من الغرب)، وكان من أشدها الخطر المريني، الذي قام بحملات عسكرية عديدة خلال فترة حكمه، انتهت بالحصار الطويل على تلمسان، الذي دام ثماني سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام.

الكلمات المفتاحية:

يغمراسن بن زيان، الزيانيون، المرينيون، الإستراتيجية العسكرية.

Abstract:

The Algerian state during the zayyanid era ruled by thirty princes, some of rulers built and succeed in building the state, but some of them failed in the task of development the zayyanid state, among the rulers who succeed in their rule of the Ziani emirate is Othman bin Yaghmorasan, who was famous for his political and military intelligence in the face of the enemies, during his reign, the Zayani emirate was subjected to attacks by Hafsids in the east, and Marinid in the west, these attacks ended with the long siege on telemcen, which took eight years, three months, and five days.

Key words:

Othman bin Yaghmorasan, the zayyanid, the Marinid ,The Military strategy.

مقدمة:

نحاول في بداية دراستنا هذه التطرق إلى شخصية السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان وكيف وصل إلى مقاليد الحكم بالجزائر خلال العهد الزياني.

1 - شخصية السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان (639-703 هـ/1241-1303م):

بن يغمراسن بن زيان، أبو سعيد، من بني عبد الواد، وهي قبيلة من قبائل زناتة الأمازيغية، صاحب تلمسان بالمغرب الأوسط، ثاني حكام الجزائر خلال العهد الزياني، ولد سنة 639هـ/1241م.

وصفه ابن الأحمر بأنه: أبيض اللون، معتدل القامة، وكان نهبة لسيوف بني مرين كأبيه يغمراسن.¹ قال عنه التنسي: «الملك الأسعد، الهمام الأنجد، ذو الهمم العلية والشيم الرضية، والمآثر الحسان، أمير المسلمين أبو سعيد عثمان، فاستكثر من الأنصار ودوّخ المعازل والأمصار».²

وعدد خصاله يحيى بن خلدون في تاريخه الذي كتبه عن دولة بني زيان بقوله: «درة الحصيلة وسيد هاتيك الفصيلة، ومصلّي حلبة جياها الأصيلية، مثير كنوز الحظ، وهدف الرخاء والمظ، ومعوّد الحروب سنة الكر والفظ، ودوّخ الأمصار، واستخدم المهاجرين والأنصار، فأحكم الإيعاب واقتاد في أرسان رماحه الصعاب، واستضاف الأوطان، وأنام رعاياه البطان، فما شئت من وطر محسوب، وزخرف مكسوب، وعقار إلى دولته الغراء منسوب، إلا أن الدهر محص الظلال، وكدر الزلال، فأدال المجادة بالخمص، وردّ أشعة شمسهِ إلى القرص، ثم لم يأل في ضيره هلعاً، ولا قال بعد لعنائه لعا، إلى أن قبض رحمه الله مقصوص القوادم، منازعا في المناهل السوادم، شأن الدنيا الغرور، وغاية متاعها المنزور، وإلى الله جلّ وعلا تصير الأمور».³

كان ملكا شهما، مقداماً⁴ محبا إلى القلوب، ذا سياسة وتدبير، صبوراً على حوادث الدهر وضرباته، بويغ أوائل ذي الحجة إحدى وثمانين وستمائة.⁵

توسّم فيه الولي الصالح سيدي واضح المكناسي- صاحب زاوية وادي رهيو- الخير والصلاح والرشد في إدارة الدولة الجزائرية خلال العهد الزياني، في أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي، وكاشف أباه يغمراسن على أن يكون خليفته في الملك (الحكم) من بعده، وذلك عند زيارته له في زاويته بأعالي جبل وافرشان في وادي رهيو، حيث يذكر موسى المازوني في مكاشفات سيدي واضح، أنه في إحدى زيات يغمراسن لسيدي واضح كاشفه بخليفته، بقوله: «فلما فرغوا من الأكل وطاب وقتهم مع ولي الله، انبسطوا وانبسط لهم بعد انقباضه عنهم، إلْتَفَتَ إلى الخليفة (يغمراسن)، وقال له: يا أبا يحيى من تعتقد في نفسك ويهّجس على بخاطرك أنه يخلف مكانك من بعدك، فقال: هذا، وأشار إلى ابنه عامر، ووصفه بأنه: فقيه، كيس، فطن، فقال له الولي: لا تحتاج الرعية إلّا إلى سلطان معه بعض الغفلة، وأمّا الحاذق اللّين فتكون الرعية معه في خيرة، لا سيما وهو فقيه مجبول على حب الدنيا وجمعها، درهم لدرهم درهمان، ودينار لدينار ديناران، فأثّ يتوصل ذو الحق منه إلى حقه، فقال له يا سيدي -بهذه اللفظة-: ومن ترى أنه يتولاها بعدي، قال: هذا، وأشار إلى ابنه عثمان، فسّر يغمراسن بذلك لبقاء الملك في عقبه».⁶

فشاء الله أن كان الأمر في خلافته عثمان بن يغمراسن، كما أخبرهم الشيخ سيدي واضح، فإنه لمّا توجه إلى المشرق وأتى بالموحدية (ابنة الأمير الحفصي أبي إسحاق) أدركته منيته بخناق وادي رهيو، فاتفق الملأ من وجوه عبد الوادي وأعيانهم أن استخلفوا على أنفسهم عثمان، وصاروا يدعون وجوه القبائل الآتين برسم الصباح، فإذا حضرهم ألجؤوه إلى البيعة، هكذا أخبرني أشياخي ممن عني بحفظ التاريخ، فسمي ذلك المكان، الذي مات فيه أبو يحيى (يغمراسن) واستخلف فيه ابنه عثمان بـ «أبو عتو»⁷.

كان ذا شخصية طموحة وعزيمة قوية وإرادة صلبة، ورث سياسة أبيه ومشاريعه في إدارة وتسيير الدولة الجزائرية خلال العهد الزياني وتعامله مع خصومه، خاصة بني مرين، التي كانت بينه وبينهم حروب شديدة ومواقف شهيرة، سنتطرق إليها في الصراع الزياني المريني خلال عهده.

كان السلطان عثمان بن يغمراسن يتسم بالدهاء السياسي والمقدرة الفائقة على جمّع القبائل ولم شملها لتدعيمه ومناصرته مثل والده يغمراسن، مستعملا وسائل مختلفة، من بينها العطايا والهبات والاقطاعات، لكنه لا يدخر جهدا في معاقبة الخائنين وإبعاد القبائل المشاغبة عن جواره بالقوة، وإخضاعهم لسلطته⁸.

كما يتضح دهائه السياسي في مقدرته على الحفاظ على استقلاله وسيادته على حاضرة تلمسان، عاصمة الدولة الجزائرية خلال العهد الزياني وسط أمواج الصراع، التي كانت تحاول أن تجرفه من كل جهة، لدرجة أنه سالم بني مرين، وذلك حين آنس القوة في جانب خصمه أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق لمريني، وعدم قدرته على مجابهته عسكريا، وأخذ بنصيحة والده وعقد معه صلحا سنة 684هـ/1285م.

كما تتضح رؤيته السياسية الثاقبة للأوضاع المحيطة بالدولة الجزائرية خلال العهد الزياني في تنفيذ وصية والده، وذلك بتجنب مواجهة بني مرين خارج مملكته، والالتزام بأسوارها، وانتهاج سياسة التحصين الدفاعي في مواجهته لهم إن قدموا لحربه، والتوسع شرقا على حساب بني حفص، من خلال إستراتيجية الهجوم.

وتجلى تنفيذ هذه الوصية في عقده صلحا مع السلطان المريني أبي يوسف يعقوب سنة 684هـ/1285م، بالرغم من الحروب المتكررة التي وقعت بين المرينيين والزيانيين في عهد أبيه، والحدق الدفين، الذي يكونه لمملكته، ففي سنة 668هـ/1269م ملك بنو مرين مراكش، فاشتدت شوكتهم وتضاعفت قوتهم بما استحوذوا عليه من جبايات أمصار وقبائل، فكانت بين يغمراسن وبين بني مرين وقائع شهيرة وحروب مذكورة⁹.

لكن الابن عثمان بن يغمراسن عند توليه الحكم فضّل الصلح تنفيذا لوصية والده، واستجابة لوازعه الديني، الذي يملي على المسلم المؤمن أن يؤازر أخاه في جهاد العدو والتصدي للكفر، خاصة أن أبي يوسف يعقوب المريني كان منشغلا بجهاد النصارى بالأندلس، فعقّد الصلح بين السلطان عثمان بن يغمراسن والسلطان المريني، ليتفرغ هذا الأخير للجهاد ومساندة بني نصر في الأندلس ضد النصارى. وبالمقابل نجد السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن في الجهة الشرقية لمدينة تلمسان طبق

إستراتيجية الهجوم السريع الخاطف والكاسح على خصومه، وقام بإخضاع المناطق الخارجة عن نطاق دولته، كالونشريس ومغراوة، ومازونة وتنس...الخ.

دخل عثمان بن يغمراسن في حروب شديدة مع بني مرين في عهد السلطان أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني، بدأت سنة 689هـ/1290م، وانتهت بحملة الحصار الطويل، التي بدأت سنة 698هـ/1299م، ومات وهو محاصر في تلمسان سنة 703هـ/1303م ومدة دولته إحدى وعشرين سنة غير شهر واحد¹⁰.

2 - الظروف التي تولى فيها عثمان بن يغمراسن بن زيان حكم الجزائر:

تولى الحكم بعد وفاة والده يغمراسن سنة 681هـ/1282م، الذي وضع الأسس الأولى للدولة الزيانية (الجزائر)، ونظّم شؤونها¹¹ فعين على الوزارة يحيى بن مجن، ثم أخوه عمروش، ثم ابنه عمر بعد موته، بحجر المنجنيق على وهران سنة 636هـ/1238م، ثم يعقوب بن جابر الخراساني. وحاجبه الأقرب ومشاوره الأنصح الفقيه عبدون بن محمد الحباك، من فقهاء الحضرة. وكُتّاب إنشائه الفقيه أبو محمد غالب، ثم أبو عبد الله محمد بن جدار، ثم أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب المرسي. وكاتب عسكره الفقيه أبو عبد الله بن المعلم. وصاحب أشغاله عبد الرحمان بن محمد بن الملاح. وقضاته: الفقيه أبو الحسن علي بن اللجام، ثم أبو عبد الله الدكالي، ثم الفقيه أبو عبد الله بن مروان، وولده الفقيه أبو الحسن علي، والفقيه أبو مهدي عيسى بن عبد العزيز، ثم إبراهيم بن علي بن يحيى¹².

وعمل والده يغمراسن على توسيع سلطة عاصمة الدولة تلمسان داخل المغرب الأوسط، وذلك بإخضاعه للعديد من القبائل المتمردة وأصبحت ضمن جغرافية دولته، فحارب قبائل بني توجين ومغراوة المجاورتين لتلمسان، لأن هذه القبائل كانت دائمة التمرد على سلطة تلمسان¹³.

كما عرفت فترة حكم والده حروبا مع بني مرين، خصوصا في عهد السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني¹⁴، وحكم مدة طويلة، استمرت من التأسيس 633هـ/1235م حتى سنة 681هـ/1282م، فكان عمره رحمه الله ستا وسبعين سنة، ومدة حكمه أربعاً وربعين سنة¹⁵.

وفي السنة التي تولى فيها عثمان بن يغمراسن الحكم، خرج والده يغمراسن 681هـ/1282م، لقتال مغراوة، بسبب مظاهرتها ليعقوب بن عبد الحق المريني في السنة المنفرطة عند حصاره لتلمسان وعجزه عن اقتحامها، ف ضرب أحبائها وخرّب عمرانها، واستولى على تنس من يد ثابت بن منديل المغراوي¹⁶.

كما استولى على ضواحي بلاد مغراوة، وفي هذا الوقت بالذات بلغه خبر قدوم ابنه أبي عامر برهوم من تونس، الذي كان كلّفه بإحضار عروس أخيه عثمان، وهي ابنة الأمير الحفصي أبي إسحاق، ولقيه بضواحي مليانة، وواصل الموكب الطريق نحو تلمسان، فمرض وهو في طريقه، واشتد عليه المرض في مدينة وادي رهيو، وأدركته منيته بخناقها في مكان يعرف بـ «أبو عتو»¹⁷.

بعد وفاة يغمراسن خلفه ابنه عثمان، وسار على نفس سياسة والده¹⁸. وفي ذلك يقول التنسي: «انعدت له البيعة في أوائل ذي الحجة من سنة 681هـ/1282م، فاقتفى في الجد وترك الركون إلى الدعة، سنن

أبيه، ولم تكن له همة أبيه إلا في إشادة بيت مجدٍ عليه». ¹⁹

فشرع في تنظيم شؤون مملكته (الدولة الزيانية) ²⁰، فعين على الوزارة غانم بن محمد الراشدي ورحو بن علي الخراساني، وحاجبه المقرب إليه أبو عبد الله محمد بن عامر الولهاسي، وكاتب إنشائه الفقيه العارف أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس، شاعر المائة السابعة، وصاحب أشغاله أبو المكارم منديل بن المعلم وأبو عبد الله محمد بن سعود، وقضاته الفقيه أبو زكريا يحيى بن عبد العزيز، وأبو عبد الله محمد بن مروان. ²¹

وكان قد أوصاه والده بمسألته بني مرين في هذا الطرف الذي تمر به الدولة الزيانية، فعقد الصلح مع أبو يوسف يعقوب المريني سنة 684هـ/1285م وتعاهدا على العيش في سلام. ²²

وبعد أشهر من الصلح والسم مرض السلطان أبو يوسف يعقوب ووافته المنية بسبب مرضه هذا، وهو في قصره في مدينة السنية بالقرب من الجزيرة الخضراء في 20 محرم سنة 685هـ/1286م، نقل جثمانه إلى رباط الفتح ودفن بمسجد شالة، وهو يعتبر من أعظم ملوك المغرب الأقصى في عهد الدولة المرينية. ²³

3 - الإستراتيجية العسكرية لعثمان بن يغمراسن في الصراع الزياني المريني:

اتسمت فترة حكم السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان مع بني مرين بحروب وصراعات مستمرة، وكانت هذه الحروب والضغائن بين بني مرين وبني زيان قديمة، ناشئة عن الجوار في الموطن ثم في الملك، وعن المنافسة في الاستقلال برئاسة زناته، وأخيرا بسط السلطة على بلاد المغرب، فكثر الحروب بينهما، وكان مُلك بني مرين أعظم من مُلك بني زيان، فكان لهم الفوز غالبا. ²⁴

بدأت العلاقات الزيانية المرينية في عهد السلطان عثمان بن يغمراسن بالسلم والمهادنة، تجسدت في عقد معاهدة سلم وصلح، كانت نتيجة للسياسة الحكيمة والراشدة التي انتهجها عثمان بن يغمراسن في بداية حكمه، فنجده بعد سنتين من التفكير والتدبر في شأن المملكة، بادر إلى مسالمة بني مرين وعقد معاهدة صلح معهم، حيث أرسل أخاه الأمير محمد بن يغمراسن إلى السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق، وهو في الأندلس في عبوره الرابع لنجدة ابن الأحمر، فلقه في أركش سنة 684هـ/1285م، فقبل منه السلطان المريني هذا المسعى وتم الصلح بين الطرفين، وعاد بعدها الأمير محمد بن يغمراسن إلى أخيه عثمان في تلمسان فرحا مسرورا. ²⁵

وتفرغ لتنفيذ إستراتيجية المشروع العسكري على المستوى المحلي، الذي أوصاه به والده يغمراسن، المتمثل في شن الحملات العسكرية الخاطفة والسريعة باستمرار على المناطق الشرقية للعاصمة تلمسان والاستيلاء عليها من يد قبائل بني توجين ومغراوة الحليفتين لبني مرين خلال هذه المرحلة الصعبة والحرجة من فترة حكمه.

واستطاع هذا الأخير بفضل هذه الإستراتيجية العسكرية إخضاع المناطق والأقاليم الخارجة عن ملكه، فدخلت في حيازته العديد من الأعمال الشرقية لتلمسان، وفي ذلك يقول التنسي: «فشمر في غزو الأعادي ذيله، حتى أقام في كل ذي زيغ ميله، فقتل ابن عبد القوي ملك تجين (توجين)، وانتزع

وانشريس والمدية من أيديهم، وأخذ من أيدي مغراوة: مازونة وتنس وبرشك، وهاداه صاحب تونس خاطبا سلمه».²⁶

ووصل الزيانيون إلى هذه القوة والمكانة خلال هذه الفترة بفضل سياسة عثمان بن يغمراسن بن زيان الراشدة والحكيمة، الذي أخذ فيها بوصية والده، وذلك بعدم لقاء بني مرين في حروب عسكرية، وأنه لا طاقة له بلقائهم وأن عليه باللياذ بالجدران، إذ حاولوا أن يهاجموه، وأوصاه أيضا بأن يوجه نظره نحو الثغور الشرقية، لكي لا يصطدم مع المرينيين، لأن قوتهم أقوى من قوته خلال هذه الفترة، وأن يعتقد الصلح معهم.²⁷

ولعل فترات الهدنة والسلم التي تطلع لها يغمراسن ثم ولي عهده ابنه عثمان من بعده، كانت نتيجة دراسة معمقة، ومعطيات استخباراتية هامة عن خصومهم بني مرين، لأن المعلومات والاستخبارات تلعب دورا حيويا في مجال الاستقرار واستتاب الأمن. وكان نظام التجسس معروفا عند الدول الإسلامية المتعاقبة، خاصة الخلافة العباسية، التي كانت تستعمل الرجال والنساء والجواري لأغراض استخباراتية ضد المناوئين والمعارضين للدولة في الداخل أو خارجها، فكانت المعلومات تأتي عن طريق العيون السرية والرحلات العلمية والسفارات وأصحاب البريد والأسرى وغيرهم. فكانت هذه الطرق جميعها معروفة عند سلاطين وأمراء بني زيان.²⁸

فالنصوص التاريخية تؤكد على أن أبا سعيد عثمان بن يغمراسن استعملها، وهو لا يزال وليا للعهد، قد اتخذ أسلوبا في هذا المجال ربما لم يسبقه أحد من الأمراء والسلاطين، اللذين تداولوا الحكم ببلاد المغرب، إذ قام بإهداء جارية وسيمة رومية إلى نظيره أبا يعقوب يوسف المريني، بعد أن درّبها على أسلوب الكتابة السرية أو علم التعمية، وعلى التجسس والتقاط الأخبار، وزوّدها بالورق الخاص بذلك. واستطاع اختراق أسرار البلاط المريني، فكانت الجارية الوسيمة تبعث له بالمعلومات الهامة التي تتعلق بالبلاط وخططه ونواياه واستعداداته وقواته العسكرية، وغيرها من المعلومات.²⁹

دامت سياسة السلم والمهادنة بين الزيانيين والمرينيين حوالي ثمان سنوات، وعادت الصراعات من جديد بين الدولتين، ولم يكن بنو زيان المثيرين المباشرين لهذا الصراع، ذلك أن سياسة أبي سعيد عثمان كانت تقوم على التحصين الدفاعي من جيرانه من ناحية الغرب، عكس سياسته في الناحية الشرقية، حيث كانت تقوم على الهجوم والصدام المباشر، وهذا تنفيذا لوصية والده السالفة الذكر.

لكن بعد تولي السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني الحكم سنة 686هـ/1286م، كان ذا شخصية طموحة وعزيمة قوية وإرادة صلبة، ورث سياسة أبيه ومشاريعه في تعامله بني زيان. اتّجهت سياسته إلى تعيين أحد أبنائه (أبو عامر) في إقليم مراكش إلى جانب والي الإقليم (محمد بن عطو)، رغبة منه في إحكام السيطرة على هذا الوالي، للحيلولة دون قيامه بأي حركة انفصالية، خاصة وأن هذا الإقليم كان مهدداً للموحدين و فيه عاصمتهم.³⁰

وحدث ما كان متوقعا، رغم الاحتياطات التي اتخذت، فثار عليه محمد بن عطو عامل مراكش، وأبو عامر ابنه، وخلع هذا الأخير طاعة أبيه، ودعا إلى نفسه، وشايحه ابن عطو على ذلك، ووصل الخبر إلى السلطان يوسف بن عبد الحق المريني وهو بفاس، فأسرع السير إلى مراكش، ودارت حرب بينهما، انتصر

فيها السلطان يوسف بن عبد الحق، وانهزم أبي عامر وابن عطو، وعادا إلى مراکش واكتسحا بيت المال بها³¹ وفرا إلى تلمسان سنة 688هـ / 1269م، فما كان من أبي سعيد عثمان بن يغمراسن إلا أن أكرمهما، وأجار أبا عامر على أبيه³².

كان لهذه الحادثة أثراً كبيراً في العلاقات الزيانية المرينية، وأدت إلى تصعيد الخلاف والعداء بين الطرفين.

ولم يدم سخط الوالد على ابنه طويلاً، فقد أمنه وعاد إليه مكرماً، أما ابن عطو فقد بقي في جوار عثمان بن يغمراسن، وطالبه به أبو يعقوب يوسف، فامتنع عثمان بن يغمراسن³³.

وكتب إليه وقال: « والله لا أسلمه أبداً ولا أبيع حرمتي وأترك من استجار بي حتى أموت، فاليصنع ما بدا له وأغلظ للرسول في القول وتكلم بالقيح وثقفه في الحديد³⁴.

وكانت هذه الأحداث سبباً في إثارة السلطان يوسف المريني وتحريك كوامن غيظه على عثمان بن يغمراسن بن زيان.

كان من الطبيعي أن يرفض عثمان هذا الطلب حفاظاً على عهده وذمته وتمسكاً بجواره، ويبدو أن رسول أبي يعقوب تناول على السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن وتجاوز حدوده في الكلام، فاعتقله هذا الأخير وزجّ به في السجن حسب رواية ابن خلدون³⁵، وهي رواية تختلف عن رواية ابن أبي زرع، الذي يجعل من عثمان بن يغمراسن هو البادي بغلظ الكلام وقبحه³⁶.

ومهما يكن من أمر، فإن الأخذ برواية ابن خلدون أقرب إلى الحقيقة نظراً لسياسة عثمان بن يغمراسن القائمة على عدم إثارة المشاكل مع بني مرين تنفيذ لخطه أو نزولاً عند وصية والده³⁷.

كان لهذه الحادثة بداية تنفيذ المشروع المريني، المتمثل في الاستيلاء على المغرب الأوسط (الجزائر) في عهد عثمان بن يغمراسن وإعادة توحيد بلاد المغرب تحت رايتهم، بدءاً من الاستيلاء على تلمسان، عاصمة المغرب الأوسط، وجسد هذا المشروع في خمس حملات عسكرية، كانت كلها معارك شديدة ومواقف مشهودة، سجلتها لها كتب التاريخ، حاول خلالها السلطان يوسف المريني اقتحام أسوار مدينة تلمسان، إلا أن جهود بني مرين لم تكلل بالنجاح، لأن مقاومة بني زيان كانت أشد، انتهجت خلالها إستراتيجية عسكرية دفاعية ناجعة وفعالة.

❑ **حملة أبي يعقوب يوسف المريني الأولى على تلمسان 689هـ / 1290م:** كان رد فعل السلطان يوسف بن عبد الحق المريني سلبياً اتجاه موقف السلطان عثمان بن زيان من عدم تسليمه ابن يطو، وثار لذلك واستثيرت حفيظته الكامنة، واعتزم على توجيه حملة عسكرية إلى تلمسان، وخرج من فاس تنفيذاً لذلك في 27 من ربيع الآخر من سنة 689هـ / 1290م، وحط رحلته بتلمسان محاصراً لها، ناصباً عليها المجانيق لضربها مدة ستة عشر يوماً وعثمان بن يغمراسن بداخلها محتماً بأسوارها³⁸.

وخلال ذلك كان أبو يعقوب يوسف المريني يجوب نواحي تلمسان وأحواضها، متبعاً سياسة الأرض المحروقة على كل مظاهر الحضارة، وفي ذلك يقول ابن زرع الفاسي: «فسار نحوها (تلمسان) وبقي

يرتحل في أحوازها ويأكل زروعها، ويسبي ويغنم أموالها، ويخرب قراها، فلم يخرج إليه أميرها، فلما رأوا عجزه عن ملاقاته قصد إلى حصاره...»³⁹

لكن مدينة تلمسان استعصت عليه وفشل في اقتحامها والسيطرة عليها، فعاد أدراجه إلى فاس خائبا منكسرا⁴⁰.

■ **حملة أبي يعقوب يوسف المريني الثانية على تلمسان 694هـ / 1294م:** شهدت سياسة السلطان أبي يعقوب يوسف المريني اتجاه السلطان عثمان بن يغمراسن تراجعاً بعد الحملة الأولى، بسبب الاضطرابات الداخلية ومحاولات الانفصال، التي شهدتها عصره خلال هذه المرحلة، وتحالف بني الأحمر والنصارى ضد المرينيين، مما جعله يتفرغ لترتيب البيت الداخلي، ويقلل من حدة سيفه وتصلب مواقفه ضد السلطان عثمان بن يغمراسن، والتخلي عن طموحاته ومشاريعه التوسعية على حساب المغرب الأوسط (الجزائر) إلى وقت لاحق وظرف مناسب.

لكن بعد أن هدأت أحوال دولته واستتاب الأمن واستقرار الأوضاع بمملكته، وجّه أنظاره وأحيا عناده من جديد للسلطان عثمان بن يغمراسن، وسعى للاستيلاء على تلمسان عاصمة الدولة الجزائرية خلال العهد الزياني، وكان ذلك سنة 694هـ / 1294م.

وكان من أسباب هذه الحملة أن السلطان عثمان بن يغمراسن بن زيان عاد إلى سياسة أبيه، المتمثلة في التحالف مع بني الأحمر والنصارى ومسالمتهم⁴¹ وربط علاقات متينة معهم، إذ أوفد ابن بريدي رسولا من قبله إلى ملك قشتالة سنة 692هـ / 1292م، ورد منه الآخر رسول. ثم أعاد الكرة بإرساله رسول آخر يسمى الحاج مسعود⁴².

كان لهذا التحالف أثر سلبي في نفسية أبي يعقوب، فأظهر الشر لعثمان بن يغمراسن، منتظرا الوقت المناسب ليتفرغ من شؤون الأندلس ومشاكله ويتحول جشّه وطمعه وحقدّه الدفين إلى بني زيان بتلمسان.

لكن الواقع أن تحالف بني زيان مع النصارى وبني الأحمر لم يكن ذا فاعلية وتأثير على مسرح الأحداث السياسية، ذلك أن مجريات السياسة الجديدة للسلطان أبي يعقوب المريني باتفاقه مع بني الأحمر وتنازلاته له، وبداية نفوذ يده من مشاكل الأندلس، جعل ذلك التحالف غير ذي جدوى⁴³.

وزاد من حدة الصراع الزياني المريني خلال هذه الفترة أن ثوار بني مرين والمناوئين للسلطان أبي يعقوب كانوا يجدون حسن الاستقبال وطيب الضيافة لدى بني زيان، وتحول بلاطهم إلى ملاذ وملجأ لهم، وكان ذلك يثير حفيظة السلطان أبي يعقوب، ويعتبرها سياسة رسمية للبلاط الزياني ضده⁴⁴.

لكن بالمقابل نجد لجوء ثابت بن منديل أمير قبيلة مغراوة - القاطنة بجبال الظهرة بنواحي الشلف - إلى السلطان أبي يعقوب يوسف المريني بفاس يطلب منه مساعدته وتقدير نصرته على عثمان بن يغمراسن ووقف اعتدائه على بلاده وقومه، وكان ذلك سنة 694هـ / 1294م. فأوفد أبو يعقوب يوسف المريني رسولا من قبله (موسى بن أبي حمو، من كبار بني مرين) شفيعا لثابت بن منديل، فلم

يستجيب عثمان بن يغمراسن للطلب السلطان المريني، واعتبره تدخلا في الشؤون الداخلية، وردّه أقبح ردّ متجاوزا حدود اللباقة في جوابه، فأعاد أبو يعقوب يوسف المريني الكرة، فلم يزداد عثمان بن يغمراسن إلّا إصرارا حسب تعبير عبد الرحمن بن خلدون.⁴⁵

وكانت هذه الحادثة هي السبب المباشر في هجوم بني مرين على تلمسان خلال الحملة الثانية إلى جانب الأسباب الأخرى غير المباشرة.

بدأت الاستعدادات المرينية لهذه الحملة بمناوشات عبر الحدود للتعرف على الخصم والاتصال به مباشرة لمعرفة قوته وردة فعله، فخرج السلطان المريني أبي يعقوب سنة 694هـ / 1294م بحملة عسكرية لاحتلال تلمسان فبلغ تاوريرت، وكانت تخمًا لبني زيان وبني مرين، يتقاسمونها مناصفة (القسم الغربي لبني مرين، والقسم الشرقي لبني زيان، وكان لكل منهما في قسمه عامل).⁴⁶

فقام أبو يعقوب المريني بطرد عامل عثمان بن يغمراسن والاستيلاء على القسم الخاص ببني زيان، وقام بتحصين المدينة ببناء حصنا منيعا وسورا لها، وفتح فيها أبوابا كلها مصفحة بالحديد.⁴⁷

وفي سنة 695هـ / 1295م خرج في حملته الثانية على تلمسان قادته إلى وجدة، وكانت تابعة لبني زيان، فهدم أسوارها، ثم وصل المسير إلى مدينة ندرومة، فاستعصت عليه، فحاصرها أربعين يوما، ضيق عليها ورمائها بالمجانيق دون جدوى، ثم ارتحل عنها إلى ناحية وهران، وأطاعه جبل جيدرة (كيدره) وتاسكدلت رباط عبد الحميد بن الفقيه أبي زيد اليرناسي، ثم كرّ راجعا إلى المغرب.⁴⁸ من حيث أتى خائبا منهزما.

وخرج عثمان بن يغمراسن وأثنى في تلك الجبال لطاعتهم عدوّه واعتراضهم جنده، واستباح رباط تاسكدلت.⁴⁹

■ **حملة أبي يعقوب يوسف المريني الثالثة على تلمسان 696هـ / 1296م:** في شوال من سنة 696هـ / 1296م خرج السلطان أبي يعقوب يوسف المريني لشن حملة عسكرية ثالثة على تلمسان بهدف الاستيلاء عليها⁵⁰، فبرز إليه هذه المرة عثمان بن يغمراسن، فتقابلا في مكان لم ترده المصادر التاريخية، ما عدا يحيى بن خلدون ذكر في تاريخه أن أبا يعقوب يوسف المريني نزل بذراع الصابون في غرة تلمسان.⁵¹

وانهزم خلال هذه الحملة الجيش الزياني، وتراجع إلى أسوار مدينة تلمسان، وحاصرها الجيش المريني أياما دون أن يتمكن من احتلالها، فأقلعوا عنها ورجع الجيش المريني إلى فاس.⁵²

أثبتت هذه الحملة الدهاء السياسي والحنكة العسكرية ليغمراسن بن زيان، وإدراكه لقوة المرينيين وعدم الخروج لقتالهم، لذا نصح ابنه عثمان في الوصية السالفة الذكر بالتحصين الدفاعي بأسوار المدينة وانتظار المرينيين عند أسوارها.

■ **حملة أبي يعقوب يوسف المريني الرابعة على تلمسان (697هـ / 1297م):** قرر السلطان يوسف بن عبد لحق المريني في جمادي الأولى من سنة 697هـ / 1297م القضاء على الدولة الزيانية، وذلك بالاستيلاء عليها، فوجه لها حملة عسكرية رابعة، فمر بوجدة، وكان قد هدمها في حملته الأولى على تلمسان، فأعاد بنائها وتحصين أسوارها، وشيّد فيها قسبة ودار لسكانه ومسجداً، ثم واصل مسيرته إلى تلمسان، فنزل في الجهة الشمالية منها بمكان يعرف بأفران الجيار، وكان ذلك في 18 شعبان من سنة 697هـ / 1297م، وشرع في حصارها مستخدماً آلات الحصار (المجانيق، ونصب قوسا بعيد المرمى، عظيم الهيكل، يعرف بقوس الزيار).⁵³

ومع ذلك فإن تلمسان صمدت للحصار والقذائف أربعين يوماً، وبعدها انسحب المرينيون عائدين خائبين إلى فاس. لكن ترك أبي يعقوب يوسف الريني أثناء عودته بوجدة حامية عسكرية تحت قيادة أخيه أبا يحيى لمساعدة والي المدينة، وأمرهما بالاستمرار في شن الغارات على الممتلكات الزيانية الواقعة غرب تلمسان دون هuada، متخذين من سياسة الأرض المحروقة لإنهاك قدرة الزيانيين على المقاومة وتثبيط معنوياتهم.⁵⁴

فدخلت ندرومة وغيرها من هذه المناطق الزيانية في طاعة بني مرين بالقوة المسلطة عليهم.⁵⁵ بينما اشتغل عثمان بن يغمراسن في هذه الأثناء بمحاربة قبائل بني توجين ومغراوة في الجهة الشرقية، وفي ذلك يقول يحيى بن خلدون: «فنهض السلطان أبو سعيد غير مبال بها ثاني عشر ربيع الأول من السنة، وشرّق إلى تجين (توجين) لموجدته عليهم بتألفهم مع ملك المغرب، وأطل المغيب في تدويخ بلادهم...»⁵⁶.

■ **حملة أبي يعقوب يوسف المريني الخامسة على تلمسان (698هـ / 1299م):** بعدما نجح السلطان عثمان بن يغمراسن في رد الحملة المرينية الرابعة على تلمسان، اشتغل بمحاربة قبائل بني توجين ومغراوة المتمردتين على ملكه، وخرج إليهم ليؤدّبهم، استغل السلطان المريني هذه الفرصة ووجه حملة عسكرية خامسة لتلمسان، فلما سمع عثمان بن يغمراسن قدوم هذه الحملة، عاد على عجلة من حملته على بني توجين ومغراوة إلى عاصمة دولته تلمسان، مفضلاً الاحتماء بها وملاقاة أعدائه المرينيين من أعالي أسوارها كما أوصاه أبوه قبل وفاته.⁵⁷

نزل أبو يعقوب يوسف المريني بجيوشه الجراة بظاهر تلمسان بمكن يعرف بمجشر بن الصقيل، وذلك في الثاني أو الثالث من شعبان من سنة 698هـ / 1299م، فنصب معسكره وشرع في حصار المدينة، وأحاط بها الجيش المريني من كل جهة، وضرب سياجا من الأسوار محيطا بها، وفتح فيه أبواباً مداخل لحربها، واختط لنزله إلى جانب الأسوار، مدينة سماها «المنصورة» وأقام على ذلك معسكراً للحصار سنيناً يعاديهما القتال ويراوحنها، وسرح عساكره للسيطرة على المغرب الأوسط وثغوره، فملك ندرومة وهنين ووهران وتوانت ومزگران ومستغانم وتنس وشرشال وبرشك والبطحاء ومازونة وونشريس ومليانة والقصبات والمدينة وتازجدت، وبايعه صاحب الجزائر.⁵⁸

وفي سنة 702هـ / 1302م أمر أبو يعقوب يوسف المريني ببناء السور الأعظم على تلمسان الجديدة)

المنصورة)، وزخرف البناء وأوسع الغروس، وتوفي السلطان عثمان بن يغمراسن في الحصار بغتة لنزلة أصابته في الحمام، وكان عمره أربعاً وستين سنة.⁵⁹ فولى بعده ابنه محمد، المكنى بأبي زيان، فأبلى بلاء حسناً في الدفاع عن المدينة ولم يسلمها للمرينيين، حتى جاء الفرج من الله، وذلك بوفاة السلطان يوسف المريني المُنْعَصِب للعنف والدمار وهو محاصراً لها.⁶⁰

فكانت مدة هذا الحصار الأكبر والخطب الشديد ثماني سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام، الذي قاده السلطان المريني أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني في أواخر القرن السابع الهجري (-698 707هـ / -1298 1307م). بلغ فيها عدد موتى أهل تلمسان قتلاً وجوعاً زهاء مائة وعشرون ألف.⁶¹

4 - قراءة تحليلية للإستراتيجية العسكرية لعثمان بن يغمراسن ضد الحملات العسكرية المرينية:

سعى عثمان بن يغمراسن لاستكمال مشروع والده السياسي والعسكري، الذي كان قد بدأ فيه قبل وفاته، وذلك ببناء الدولة وتقوية أركانها ومؤسساتها، خاصة المؤسسة العسكرية، المتمثلة في الجيش الزياني. فنجد أنه منذ البداية أهمية هذه المؤسسة، وبقاء الدولة وتشبيدها وتوسيع رقعتها يتوقف على مدى قوة مؤسسة الجيش وفعاليتها في حفظ الأمن ورد الاعتداءات الأجنبية المحدقة به (الحفصيون من الشرق والمرينيون من الغرب) والتغلب على الفتنة الداخلية وحركات التمرد والعصيان، التي كانت تقودها بعض القبائل الانفصالية، الرغبة في الاستئثار بالحكم.

وقوة مؤسسة الجيش وفعاليتها، تبرز في انتهاجها إستراتيجية عسكرية ناجعة وفعالة، لتأدية مهامها على أكمل وجه، شرط استثمار الإمكانيات والمقومات العسكرية المتاحة أحسن استغلال.

وكانت الإستراتيجية السياسية والعسكرية التي اتبعتها عثمان بن يغمراسن تقوم على تنفيذ وصية والده السياسية والعسكرية، التي حذر فيها من مواجهة بني مرين عسكرياً في هذا الظرف الزمني، وطلب منه التوجه عسكرياً إلى الجهة الشرقية من المملكة الزيانية لتوسيع مملكته وتقويتها حتى يتسنى له مقارعة بني مرين عسكرياً في المستقبل على الأمد المتوسط، وهذه الوصية يوردها لها عبد الرحمن بن خلدون في تاريخه بقوله: «... يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش، لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا الوفور مددهم، ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم لمعرة النكوص عن القرن التي أنت بعيد عنها، فإياك واعتماد لقائهم، وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك، وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين (الحفصيون) وممالكهم يستفحل به ملكك، وتكافئ حشد العدو بحشدك، ولعلك تصير بغض الثغور الشرقية معقلاً لذخيرتك».⁶²

هذه الوصية وجّهت سياسة عثمان بن يغمراسن العسكرية توجيهاً راشداً وحكيماً في الإدارة العسكرية، واستطاع بفضلها مواجهة القوات العسكرية الخارجية المترتبة بالجزائر خلال عهده، ورد الاعتداءات الموجهة لعاصمة الدولة (تلمسان).

كما أنها منحت له توجيهها آخر نحو مناطق ضعف الأعداء، واستغلالها لتقوية دولته وتوسيعها، واستثمار مختلف المقومات المتاحة له، لكي يخاف منه القاصي والداني، ويضربون له ألف حساب. وهذه الوصية جسدها عثمان بن يغمراسن عملياً من خلال الإستراتيجية العسكرية التالية:

➤ **الاستعداد العسكري الدائم، والمواجهة المستمرة مع المرينيين بطريقة غير مباشرة،** لذا نجده اهتدى في بداية حكمه بمهادنة بني مرين عن طريق عقد اتفاقية صلح وسلم قام بها معهم سنة 684هـ / 1285م، ورأى ضرورة وصلهم بالصلح، حتى يمتص غضبهم ويقلل من عدائهم الشديد لدولته، وحماستهم الزائد في الثقة بالنفس، وتثبيط معنوياتهم، واتقادهم السائد بأن لهم القدرة على سحق كل من يقف أمامهم متحديهم.

وهذا من أجل تعزيز قدراته العسكرية، ولا يقوم بتشتيتها على جبهتين، ويتفرغ للجهة الشرقية من مملكته، بإستراتيجية الهجوم عليها، تنفيذاً لوصية والده السالفة الذكر.

➤ **الحيطة والحذر والتأني في اتخاذ القرار العسكري:** تمثلت هذه الإستراتيجية بعدم المجازفة بالحرب مع بني مرين إلا للضرورة القصوى أو عند الهجوم عليه في عقر داره (تلمسان)، وهذا تنفيذاً لوصية والده يغمراسن.

إستراتيجية الحيطة والحذر وعدم المجازفة هذه مكنت الدولة الجزائرية خلال عهد عثمان بن يغمراسن بن زيان من الصمود في وجه المرينيين، بالرغم من الحملات العسكرية المتكررة التي وُجّهت لتلمسان خلال عهده السالفة الذكر، والتي قدرت بخمس حملات عسكرية كانت شديدة عليه ووقائعها مشهورة في كتب التاريخ.

➤ **عقد تحالفات مع أعداء المرينيين:** تُرجمت هذه الإستراتيجية إلى واقع عملي اتبع فيه عثمان بن يغمراسن التحالف مع بني الأحمر والنصارى ومساملتهم، وربط علاقات متينة معهم، إذ أوفد ابن بريدي رسولا من قبله إلى ملك قشتالة سنة 692هـ / 1292م، ورد منه الآخر رسول. ثم أعاد الكرة بإرساله رسول آخر يسمى الحاج مسعود كما ذكرناه سابقاً⁶³.

كما نجده وطّد علاقته مع الأمراء الحفصيين في الشرق، ففي سنة 689هـ / 1290م بعث إليه الأمير أبي حفص الموحي من تونس بهدية، طالبا منه السلم والأمان وحسن الجوار⁶⁴.

كان لهذا التحالف أثر سلبي في نفسية أبي يعقوب يوسف المريني، فأظهر الشر لعثمان بن يغمراسن، منتظرا الوقت المناسب ليتفرغ من شؤون الأندلس ومشاكله الداخلية، ثم يتحول إلى بني زيان بتلمسان، وهو ما حصل من خلال حملته الثانية على تلمسان 694هـ / 1294م السالفة الذكر أيضاً.

الواقع أن تحالف بني زيان مع النصارى وبني الأحمر لم يكن ذا فاعلية وتأثير على مسرح الأحداث السياسية خلال هذه المرحلة، ذلك أن مجريات السياسة الجديدة للسلطان أبي يعقوب المريني باتفاقه

مع بني الأحمر وتنازلاته له تزامنت مع هذا التحالف، وبداية نفوذ يده من مشاكل الأندلس، جعل ذلك التحالف غير ذي جدوى⁶⁵.

◀ **الزواج السياسي:** تجسدت هذه الإستراتيجية في زواج السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بابتنة السلطان الحفصي أبي إسحاق عام توليته عرش بني زيان سنة 681م / 1282م، وكان المخطط لهذا الزواج، ومصاهرة بني حفص والد يغمراسن بن زيان.

هذا الزواج السياسي أفاده كثيرا في بداية فترة حكمه، حيث تجنب من خلاله ضربات الحفصيين من الشرق، وتفرغ للاستعداد العسكري للمرينيين، وذلك بتقوية مؤسسة الجيش، وردع قبائل بني توجين ومغراوة المتمردتين عليه في الجبهة الشرقية من مملكته، وضُمَّهما لمملكته، ليقوي بهما شوكته على بني مرين، ويعزز من قدراته العسكرية.

◀ **تشجيع الخلافات الداخلية في البيت المريني:** تمثلت هذه الإستراتيجية في استغلال الخلافات السياسية داخل البيت المريني، وتشجيع المتمردين عن السلطة السياسية، وذلك من خلال الاستقبال الحسن للمتمردين وإيوائهم، فوجد السلطان عثمان بن يغمراسن استقبل ثوار بني مرين والمناوئين للسلطان أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني أحسن استقبال، وأكرمهم، وطيب ضيافتهم، وتحول بلاطه إلى ملاذ وملجأ لهم، وهذه المعاملة (السياسة) أثارت حفيظة السلطان أبي يعقوب، واعتبرها سياسة رسمية للبلاط الزياني ضده⁶⁶.

ففي سنة 688هـ / 1289م تمرد أبو عامر ابن السلطان أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني على أبيه، رفقة ولي مراكش محمد بن عطو، وفرّا إلى تلمسان، فما كان من أبي سعيد عثمان بن يغمراسن إلا أن أكرمهما، وأجار أبا عامر على أبيه⁶⁷. وبعد تحسن العلاقة بين الابن وأبيه وعودته إلى المغرب الأقصى، وطلب أبي يعقوب يوسف من عثمان بن يغمراسن تسليمه محمد بن عطو، فامتنع يغمراسن عن ذلك.

كانت تهدف إستراتيجية عثمان بن يغمراسن في تشجيع الخلافات الداخلية في البيت المريني إلى التقليل من حدة السياسة العدائية المرينية ضد بني زيان، وانشغالهم بالشؤون الداخلية لدولتهم من جهة، ومن جهة ثانية إذا وصل هؤلاء المتمردون والثوار إلى مقاليد الحكم أمن شرمهم، وتتوطد العلاقات الزيانية المرينية بفضل مساندتهم ودعمهم، بعدما كانوا حلفاء يصبحون أصدقاء، ومن جهة ثالثة إضعاف قوتهم وتشثيتها على عدة جهات (الداخلية، الخارجية).

◀ **إستراتيجية التحصين الدفاعي في مواجهة المرينيين من الجهة الغربية:** انتهج عثمان بن يغمراسن هذه الإستراتيجية العسكرية في مواجهة المرينيين، لإدراكه التام بقوة خصومه، وعدم قدرته في هذا الطرف التي تعيشه الدولة الزيانية على مواجهتهم عسكريا، لأن قوتهم تفوق قوته وأعدادهم تفوق أعداده، فكان لزاما عليه انتظار خصومه في عقر داره والتحصين بأسوار عاصمته، وهذا بناء

على وصية والده يغمراسن، الذي يعرف خبايا الحروب ونتائجها مع المرينيين في أبسط جزئيتها، خاصة من جانب من التسليح والتموين والتجديد، بحكم خوضه حروب عديدة معهم انهزم في أغلبها، ويدرك انعكاساتها على الدولة.

لذلك نجده فظّل الاحتماء بأسوار مدينة تلمسان وعدم الخروج لحرب المرينيين، إذا أقبلوا عليه والاكتفاء بمناوشتهم من فوق الأسوار، وذلك لقوتهم العسكرية وأعدادهم الكثيفة بعد أن انتقل إليهم إرث الموحيدين.

وكانت هذه الأسوار تتكون من جدار خلفي رئيسي، وجدار أمامي في الأماكن المسطحة بعيدا عن القوم المنحدرة من مدخل المدينة، وحيثما توجد الضعيفة أو الحساسة من ناحية الدفاع تضاف إليه أسوار أخرى⁶⁸.

لعبت هذه الأسوار خلال عهد عثمان بن يغمراسن بن زيان دورا كبيرا في الإستراتيجية العسكرية للجزائر خلال العهد الزياني، حيث كانت تشكل قاعدة عسكرية متقدمة لمراقبة الحملات العسكرية على تلمسان، خاصة مع أعدائه المرينيين.

كانت مدينة تلمسان محاطة بسبعة أسوار منيعة وعاتية، وحُدّت المدينتين (أغادير وتاغرايت)، اللتين تتشكلان منهما عاصمة الجزائر خلال هذا العهد، ولعب الخندق العميق المقام على وادي متشكّنة، الذي يحدها من الجنوب والشرق بالإضافة إلى المنحدرات الموجودة من ناحية الشمال دورا كبيرا في جعل المدينتين متصلتين ببعضهما البعض، وكأنهما مدينة واحدة⁶⁹.

ولقد ذكر يحيى بن خلدون خمسة من هذه الأبواب، بقوله: « ولها خمسة أبواب: قبلة باب الجياد، وشرقا باب العقبة، وشمالا باب الحلوي وباب القرميدين، وغربا باب كشوطة »⁷⁰.

شيدت هذه الأسوار بهدف تحصين المدينة من كل الأخطار المحدقة بها.

انتهج عثمان بن يغمراسن إستراتيجية التحصين الدفاعي في مواجهة المرينيين، بسبب قلة الموارد البشرية في المؤسسة العسكرية خلال عهده، وتخليه على فرق المرتزقة، لا سيما بعد محاولة اغتيال والده السلطان يغمراسن من قبل حرسه المسيحي كما ذكرناه سابقا.

هذا التوجه الهيكلي في تنظيم الجند يعد صلب توصية يغمراسن لابنه عثمان⁷¹.

وعليه كان من الضروري رفع أسوار شامخة ومتينة تطمئن المدافعين من جدوى مقاومتهم، وفي الوقت نفسه تزيد في معاناة المهاجم وتبسط معنوياته، لذلك أبدع المصممون في انجازها وإحكام تحصينها، ومن خصوصيتها أنها بنيت بمادة «الطابية» المدكوكة جيدا لرفع مقاومتها⁷².

وتسهيلا لتنقل المدافعين من منطقة لأخرى عند ضرورات الدفاع، زودت الأسوار بأنفاق في أسفل السور الداخلي، تربط الأبراج فيما بينهما، علاوة على الخنادق المحيطة بالسور، ثم إحداث قلع أمامية، مثل قلعة باب القرمادين بالشمال الغربي، وقلعة باب الرواح بالشمال الشرقي، وقلعة أمامة بالجهة

الغربية...الخ⁷³.

شملت هذه المدينة على عدة أبواب، منها:

◀ **باب القرمادين:** الذي عزز فيه مراكز الدفاع، يظهر هذا الباب بارزا في الزاوية الشمالية الغربية، لعب هذا الباب دور الحصن الأممي، الذي يحمي مدخل المدينة، ويسمح بتجميع الجنود قبل خروجهم من الثكنة المحصنة قبل تحركها لخوض المعارك العسكرية. يتميز هذا الحصن بأبراجه المربعة والمستديرة وجدرانه المبنية من الأجر المدكوك، الذي ترتفع فوق الأساس المبنى بالحجارة.

◀ **الباب العتيق** في الشرق (باب العقبة).

◀ **باب الزاوية** في الشمال (الباب العلوي).

◀ **باب قشوط** في الغرب (الذي حل محله باب فاس في العهد التركي)

◀ **باب الجياد** في الجنوب.

عمل عثمان بن يغمسن على وضع نظام متماسك لتحصين المدينة من الاعتداءات العسكرية، التي تهدد أمنها واستقرارها، وذلك باستخدام أبراج متقدمة، مثل برج القشاقش الذي بني على الجهة الجنوبية على مقربة من وادي متشكانة، ويمر عبره طريق مغطاة بأقواس تربط هذا البرج بالمدينة⁷⁴.

وبرج الطاحونة الذي أقيم على الطريق المؤدي إلى هضبة لالة سيتي، يراقب هذا البرج المههد للمدينة ويحمي الطاحونة القائمة على المرتفع، التي تزود سكان مدينة تلمسان بالدقيق⁷⁵.

ومن جهة الغرب نجد قلعة أمامة، وهو قصر على شكل قلعة، حاصره السلطان يوسف المريني في عهد عثمان بن يغمسن سنة 689هـ / 1290م مدة أربعين يوما، واضطر في النهاية إلى الانسحاب، بسبب حصانته⁷⁶.

إستراتيجية التحصين الدفاعي التي انتهجها عثمان بن يغمسن كانت ناجعة وفعّالة في العمل العسكري، فنجدها أفلحت في إفشال الحصار الطويل على تلمسان، الذي دام ثمان سنوات، وثلاثة أشهر وخمسة أيام، بقيادة السلطان المريني أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني في أواخر القرن السابع الهجري (698-707هـ / 1298-1307م)⁷⁷، وبلغ فيها عدد موق أهل تلمسان قتلاً وجوعاً زهاء مائة وعشرون ألف⁷⁸.

هذه الإستراتيجية العسكرية المطبقة من طرف عثمان بن يغمسن منعت احتلال المرينيين لتلمسان عاصمة الدولة الجزائرية خلال فترة حكمه، واستطاع بفضلها من قهر أعدائه وتثبيط معنوياتهم وكسر كبريائهم، والصمود في وجه حملاتهم العسكرية، ومنعهم من تحقيق مشروعهم السياسي والعسكري، المتمثل في ضم المغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأدنى إلى ملكهم.

• إستراتيجية الهجوم السريع الكاسح والخاطف في الجهة الشرقية على عملات الحفصيين والقبائل المتمردة:

انتهج هذه السياسة بهدف تقوية الجيش العسكري، وذلك عن طريق الاستيلاء على الممتلكات الحفصية، والضغط الدائم والمستمر على قبائل ومضارب بني توجين أحلاف بني مرين، وإخضاعهم لسلطته، وهذا تنفيذا لوصية والده، بقوله: «... وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين (الحفصيون) وممالكهم يستفحل به ملكك، وتكافئ حشد العدو بحشدك، ولعلك تصير بغض الثغور الشرقية معقلاً لذخيرتك»⁷⁹.

ترجمت هذه الإستراتيجية إلى واقع عملي اتبع فيه عثمان بن يغمراسن الهجوم الدائم على الممتلكات الشرقية من مملكته، التابعة للحفصيين، وعلى القبائل المتمردة على سلطته والمتحالفة مع بني مرين، فدخل معهم في معارك طاحنة، كان يخرج في أغلبها منتصرا عليهم، فيعود إلى عاصمة مملكته (دولته) تلمسان بالغنائم وبولائهم له، ومساعدته عسكريا ضد أعدائه المرينيين⁸⁰. فجدده في سنة 686هـ/1287م، نزل بجاية التي كانت تابعة للحفصيين، فقطع جنتها وأحرق قراها وقفل. وفي منتصف رمضان منها أخذ مازونة من أيدي مغراوة وحصن تفرجنيث من أيدي توجين. وفي سنة 687هـ/1288م، نهض إلى توجين فدوّخ بلادهم وأخذ وانشرس مقلهم، وسبى حرم أولاد محمد بن عبد القوي، ثم صرفهن إلى قومهن. وفي سنة 688هـ/1289م أخذ من يد مغراوة مدينة تنس، ومن يد بني توجين المدينة⁸¹.

وفي سنة 690هـ/1291م نهض إلى قبائل مغراوة وبني توجين المتآلبين (المتحالفين) مع ملك المغرب، فدوّخ بلاد مغراوة، وانقادت إلى طاعته، وقتل أمير بني توجين، واستأصل أموالهم، وعاد إلى حضرته تلمسان⁸². وغيرها من الحملات العسكرية التي وجهها إلى الجهة الشرقية من تلمسان.

واستطاع عثمان بن يغمراسن بفضل هذه الإستراتيجية العسكرية إخضاع المناطق والأقاليم الشرقية الخارجة عن ملكه، فدخلت في حيازته العديد من الأعمال الشرقية لتلمسان، وفي ذلك يقول التنسي: «فشمر في غزو الأعادي ذيله، حتى أقام في كل ذي زيغ ميله، فقتل ابن عبد القوي ملك تجين (توجين)، وانتزع وانشرس والمدينة من أيديهم، وأخذ من أيدي مغراوة: مازونة وتنس وبرشك، وهاداه صاحب تونس خاطبا سلمه»⁸³.

وبالعودة إلى وصية والده يغمراسن السالفة الذكر، نجدها وجهت سياسة عثمان بن يغمراسن العسكرية إلى مناطق ضعف الأعداء والمتمردين، واستغلالها لتقوية دولته وتوسيعها، واستثمار مختلف الموقّومات المتاحة له، حتى يخاف منه القاصي والداني، العدو والصديق، ويضربون له ألف حساب.

خاتمة:

نكتفي بهذه النماذج من الاستراتيجيات العسكرية التي انتهجها عثمان بن يغمرسن في مواجهة الخطر المريني خلال فترة حكمه (681-703 هـ/1282-1303 م)، لنعرّج على بعض النتائج المتوصل إليها في خاتمة هذه الدراسة، نوجزها في ما يلي:

انتهج السلطان عثمان بن يغمراسن إستراتيجية الحذر والحيلة ضد أعدائه المرينيين، اللذين يفوقونه عددا وقوة في المجال العسكري، فاتخذ كل التدابير اللازمة التي ينتهجها القائد العسكري المحنك، فانتهج سياسة السلم والمهادنة، وعدم المجازفة بالحرب معهم إلا عند الضرورة ووصلهم بالصلح في بداية فترة حكمه، التي جسدها في عقد معاهدة سلم وصلاح، كانت نتيجة للسياسة الحكيمة والراشدة التي انتهجها في بداية حكمه، فنجده بعد سنتين من التفكير والتدبر في شأن المملكة الزيانية، بادر إلى مسالمة بني مرين وعقد معاهدة صلح معهم سنة 684هـ/1285م،

وبالمقابل نجده انتهج سياسة التحصين الدفاعي في مواجهتهم على الجبهة الغربية، وهذه السياسة نجدها أفلحت في رد الحملات العسكرية الموجه ضد الدولة الجزائرية خلال عهده، حتى الحصار الطويل، الذي قام به أبي يعقوب يوسف المريني، ودام ثماني سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام. قاوم فيه بشراة حتى وفاته، وواصل المقاومة أبناؤه من بعده، ولم يفلح المرينيون في احتلال تلمسان خلال عهد عثمان بن يغمراسن بن زيان وبقيّة شامخة أمام أكبر خطر هدد الجزائر الزيانية خلال عهده.

ارتدى السلطان عثمان بن يغمراسن حزام السعي والعمل في إستراتيجيته العسكرية وآمن بقدراته السياسية في بناء الدولة الجزائرية وتعزيز قدراتها العسكرية، ولم يستخف بأعدائه، خاصة المرينيين.

لامس السلطان عثمان بن يغمراسن تكبر السلطان المريني أبو يعقوب يوسف، الذي نظر إليه نظرة استخفاف واستصغار واحتقار، وكان يظن أنه بمقدوره هزم أي جيش يقف أمامه، ولا يستطيع رده، فأدهشته بسالة السلطان عثمان بن يغمراسن في مواجهته، وصبره على بلاء المرينيين ولم يستسلم لهم، ونافسهم بالرغم من أنهم كانوا يفوقونه قوة وعددا.

مستّه بأساء وضرأ المرينيين، لكنّه صبر على بلائهم، وقاومهم بالصبر والحكمة والثبات، وبالمواجهة العسكرية عند اقتضاء الضرورة، فأحبّ الجهاد في سبيل الوطن، ولم يسلمه للطامعين والمعتدين والخائنين، فحاربهم بكل جهد وإخلاص، فأَوْفَى وَوَفَّى عهد ووصية والديه.

كان السلطان عثمان بن يغمراسن دائما يؤمن بطريق النصر على أعدائه المرينيين، بالرغم من اختلال موازين القوى بينه وبينهم، لذلك نجده ناضل طوال فترة حكمه لكي يبقى شامخا، مُجِبّاً لوطنه، محافظا على أمانة والده ومخلصا لقضيته، واضعا الوطن فوق كل اعتبار، ولم يركع للمرينيين، منفذا لوصية والده، نبلا لمبادئه وقيمه السياسية والعسكرية.

قام السلطان عثمان بن يغمراسن بتوظيف العمل الاستخباراتي في مواجهة الخطر المريني وحملاتهم

العسكرية، وذلك للحصول على المعلومات والأخبار، من أجل إفشال مخططات المرينيين العسكرية، فكانت هذه المعلومات الاستخباراتية تأتيه من القلاع والحصون والقصور، لكي يرى ألعيب العدو وإفشال مخططاته.

تميز عثمان بن يغمراسن بالجرأة والشجاعة في اتخاذ المواقف العسكرية، فاستل سيفه الحاد في مواجهة المرينيين في أحلك الظروف ولم يستسلم لهم، ويسلمهم عاصمة دولته، رغم عدم قدرته على مواجهتهم، فاستعان بأسوار عاصمته، وتحصن بها لسنوات، خاصة في حملة الحصار الطويل، التي توفي فيها وهو محاصراً، أبان فيها على مواقف عسكرية باهرة دوخت أعدائه المرينيين، تميزت بالجرأة والشجاعة، والصبر والتحدي.

كما نجده برع في استخدام اللعبة السياسية، وكان محنكا في استثمار الصراع الداخلي في البيت المريني لصالحه، وامتصاص غضب المرينيين عند الشدة، وتشيت قدراتهم العسكرية.

واستطاع ربط علاقات سياسية متينة مع العالم الخارجي ضد بني مرين، للتقليل من خطرهم وكسر شوكتهم، فتحالف مع بني الأحمر بغرناطة، واحتكم إلى العقل والتخطيط في إدارة الجيش ومواجهة العدو خلال عهده.

كما نجده وظَّف الزواج السياسي في العمل العسكري، وذلك للتقليل من ضربات أعدائه في الجهة الشرقية، فزوجه أبوه بآبنة السلطان الحفصي أبي إسحاق سنة 681هـ/1282م، وكانت هذه السنة وصوله للحكم، واستثمر هذه المصاهرة في كسب ود الحفصيين، وتأمين الجبهة الشرقية لدولته، لكي يتفرغ للمرينيين في الجبهة الغربية، ومن جهة ثانية تأديب القبائل المتمردة، التي أعلنت عصا الطاعة، وتحالفت مع المرينيين، وإعادتها إلى طريق الطاعة والتبعية، لتكون سندا له، وتقوي من قدراته العسكرية وتعزيزها.

وخلاصة القول أن إستراتيجية التحصين الدفاعي، التي انتهجها عثمان بن يغمراسن بن زيان في مواجهة الخطر المريني على عاصمة الدولة الجزائرية خلال عهده كانت ناجحة في ردّ الحملات العسكرية الخمسة الموجهة لاحتلال الجزائر، وباءت كلها بالفشل، ومكنت العاصمة السياسية للجزائر من بقائها شامخة، رغم المؤامرات والتحرشات والاعتداءات المرينية، فإنها خرجت سالمة غائمة من هذا الصراع الممرير، ومن المؤامرات التي حيكت ضدها والاعتداءات التي وجهت لها.

وإستراتيجية الهجوم الكاسح والخابف على قبائل بني توجين ومغراوة المتحالفتين مع المرينيين كانت رادعة للمتمردين، وأرجعتهم إلى الرشد والصواب، وعملت على تعزيز قوة الدولة الزيانية في عهد عثمان بن يغمراسن.

وفترة حكمه كانت حافلة بالأحداث والأمجاد، كما كانت حافلة بالمشقة والإجهاد، استطاع خلالها أن يثبت للرياح السياسية العاصفة وللأمواج العسكرية العاتية، كسب من خلالها احترام وتقدير خصومه،

بالرغم من أن موقع عاصمته تلمسان الحساس، الذي كان بين فكي كماشة (المرينيين من الغرب والحفصيين من الشرق) والظروف السياسية المحيطة بدولته لم تكن مساعدة له على الصمود وذلك الثبات، الذي أبانه خلال فترة حكمه، لكنه استطاع بدهائه السياسي وحنكته العسكرية وصبره على بلاء خصومه المستمر والمتواصل أن يقودها الجزائر إلى بر الأمان، وتخرج من العدوان المريني الخامس والحصار الطويل خلال عهده بسلام.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار، وأسكنهم الله فسيح جنانه.

الهوامش:

- 1- إسماعيل بن الأحمر: تاريخ لدولة الزيانية، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2001م، ص 68.
- 2- محمد بن عبد الله التنسي: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه محمود آغا بوعيداد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص 129.
- 3- يحيى بن خلدون: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، الطباعة الشعبية للجيش، وزارة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص 208.
- 4- الحاج بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، ج 1، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011م، ص 70.
- 5- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 208. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ط 7، ديوان المطبوعات الجمعية، الجزائر، 1994م، ج 2، ص 152.
- 6- موسى المازوني: صلحاء وادي الشلف، دراسة وتحقيق غرداوي نور الدين، دار الخلدونية، الجزائر، 2017م، ص 219، 220.
- 7- المصدر نفسه، ص 222.
- 8- التنسي: مصدر سابق، ص 128. عبد العزيز محمود لعرج: مدينة المنصورة المرينية بتلمسان (دراسة تاريخية أثرية في عمرانها وعماراتها وفنونها)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2006م، ص 30.
- 9- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 207.
- 10- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 209. ابن الأحمر: مصدر سابق، ص 68.
- 11- عبد الرحمان ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن ووضع حواشيه وفهارسه خليل شحادة، راجعه سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ج 7، ص 79.
- 12- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 205.
- 13- عبد الرحمان بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 116، 117.

- 14- مؤلف مجهول: الذخيرة السنوية في تأريخ الدولة المرينية، اعتنى بنشره محمد بن أبي شنب، راجع الطبعة وأعدها للنشر الربيعي بن سلامة والسعيد بحري، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 147، 148، 165، 167.
- 15- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 207.
- 16- عبد الرحمان بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 116، 117، 122.
- 17- موسى المازوني: مصدر سابق، ص 222.
- 18- عبد الرحمن الجبالي، مرجع سابق، ج 2، ص 152.
- 19- التنسي: مصدر سابق، ص 129.
- 20- عبد الرحمان ابن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 79.
- 21- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 208.
- 22- عبد الرحمن بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 123. ابن الأحمر: مصدر سابق، ص 68. مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م، ج 2، ص 335، 336. عبد الرحمن الجبالي: مرجع سابق، ج 2، ص 152.
- 23- محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني، ط 2، دار القلم للنشر، القاهرة، 1987م، ص 51.
- 24- مبارك بن محمد الميلي: مرجع سابق، ج 2، ص 422.
- 25- عبد الرحمن بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 123. أبو العباس أحمد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م، ج 3، ص 69. مبارك بن محمد الميلي: مرجع سابق، ج 2، ص 422. عبد العزيز لعرج: مرجع سابق، ص 27، 28.
- 26- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 208. التنسي: مصدر سابق، ص 129.
- 27- عبد الرحمن بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 123.
- 28- عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص 25.
- 29- نفسه.
- 30- أحمد الناصري: مرجع سابق، ج 3، ص 69. محمد عيسى الحريري: مرجع سابق، ص 84.
- 31- أحمد الناصري: مرجع سابق، ج 3، ص 69.
- 32- ابن الأحمر: مصدر سابق، ص 26.
- 33- التنسي: مصدر سابق، ص 131. أحمد الناصري: مرجع سابق، ج 3، ص 69. حركات إبراهيم: مرجع سابق، ص 314. مبارك بن محمد الميلي: مرجع سابق، ص 422.
- 34- ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، المغرب الأقصى، 1972م، ص 379.

- 35- عبد العزيز محمود لعرج: مرجع سابق، ص 29.
- 36- ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص 379.
- 37- عبد العزيز محمود لعرج: مرجع سابق، ص 29.
- 38- التنسي: مصدر سابق، ص 130. مبارك بن محمد المليي: مرجع سابق، ص 422.
- 39- ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص 379.
- 40- عبد الرحمن بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 126.
- 41- نفسه.
- 42- نفسه. عبد العزيز محمود لعرج: مرجع سابق، ص 31.
- 43- عبد العزيز محمود لعرج: مرجع سابق، ص 31.
- 44- نفسه.
- 45- عبد الرحمن بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 126. عبد العزيز محمود لعرج: مرجع سابق، ص 31.
- 46- ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص 385.
- 47- نفسه.
- 48- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 208. عبد الرحمن بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 126.
- 49- نفسه.
- 50- عبد الرحمن بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 126.
- 51- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 209.
- 52- ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص 385. عبد العزيز محمود لعرج: مرجع سابق، ص 32.
- 53- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 209. عبد الرحمن بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 126.
- 54- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 209.
- 55- عبد الرحمن بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 126، 127.
- 56- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 209.
- 57- المصدر نفسه، ج 1، ص 209، 210.
- 58- ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص 386.
- 59- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 209.
- 60- عبد الرحمن بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 127. التنسي: مصدر سابق، ص 130. ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص 387.
- 61- عبد الرحمن بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 125. التنسي: مصدر سابق، ص 133، 134. يحيى

- بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 211.
- 62- عبد الرحمن بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 123.
- 63- عبد الرحمن بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 126. عبد العزيز محمود لعرج: مرجع سابق، ص 31.
- 64- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 209.
- 65- عبد العزيز محمود لعرج: مرجع سابق، ص 31.
- 66- نفسه.
- 67- ابن الأحمر: مصدر سابق، ص 26.
- 68- عطاء الله دهينة وآخرون: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ج 3، ص 371.
- 69- نفسه.
- 70- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 90.
- 71- سيدي محمد نقادي: وظائف أسوار مدينة تلمسان، مجلة دراسات تراثية (عدد خاص بأعمال الملتقى الدولي حول النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم إلى نهاية العهد العثماني)، ع 5، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر 2، 2014، ج 1، ص 347.
- 72- نفسه.
- 73- نفسه.
- 74- عطاء الله دهينة وآخرون: مرجع سابق، ج 3، ص 371.
- 75- نفسه.
- 76- نفسه.
- 77- عبد الرحمن بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 124، 125.
- 78- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 211.
- 79- عبد الرحمن بن خلدون: مصدر سابق، ج 7، ص 125.
- 80- لمعرفة المزيد عن دور قبائل بني توجين ومغراوة في السياسة العسكرية للدولة الزيانية. انظر/ نورالدين غرداوي: دور قبائل بني توجين ومغراوة في السياسة العسكرية للدولة الزيانية (أعمال الملتقى الدولي حول النظم العسكرية في بلاد المغرب، مجلة دراسات تراثية، ع 5، ج 1، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر 2، 2014م، ص 483-515.
- 81- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 208.
- 82- المصدر نفسه، ص 209.
- 83- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 208. التنسي: مصدر سابق، ص 129.